

التحرير والتنوير

واعلم أن قوله (أسلمت وجهي) كلمة جامعة لمعاني كنه الإسلام وأصوله ألقيت إلى الناس ليتدبروا مطاويها فيهتدي الضالون ويزداد المسلمون يقينا بدينهم ؛ إذ قد علمنا أن مجيء قوله (أسلمت وجهي) عقب قوله (إن الدين عند الله الإسلام) وقوله (فإن حاجوك) وتعقيبهما بقوله (أسلمتم) أن المقصود منه بيان جامع معاني الإسلام حتى تسهل المجادلة وتختصر المناقشة ويسهل عرض المتشككين أنفسهم على هذه الحقيقة ليعلموا ما هم عليه من الديانة . بينت هذه الكلمة أن هذا الدين يترجم عن حقيقة اسمه ؛ فإن اسمه الإسلام وهو مفيد معنى معروفاً في لغتهم يرجع إلى الإلقاء والتسليم وقد حذف مفعوله ونزل الفعل منزلة اللازم فعلم أن المفعول حذف لدلالة معنى الفاعل عليه فكأنه يقول : أسلمتني أي أسلمت نفسي فبين هنا هذا المفعول المحذوف من اسم الإسلام لئلا يقع فيه التباس أو تأويل لما لا يطابق المراد فعبر عنه بقوله (وجهي) أي نفسي : لظهور ألا يحسن محمل الوجه هنا على الجزء المعروف من الجسد ولا يفيد حمله عليه ما هو المقصود بل المعنى البين هو أن يراد بالوجه كامل الذات كقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) .

وإسلام النفس معناه إسلامها لأجله وصيرورتها ملكاً له بحيث يكون جميع أعمال النفس في مرضاة الله وتحت هذا معان جملة هي جماع الإسلام : نحصيها في عشرة : المعنى الأول : تمام العبودية لله تعالى وذلك بالألوهية لا يعبد غير الله وهذا إبطال للشرك لأن المشرك بالله غير الله لم يسلم نفسه بل أسلم بعضها .

المعنى الثاني : إخلاص العمل لله تعالى فلا يلحظ في عمله غير الله تعالى فلا يراني ولا يصانع فيما لا يرضي الله ولا يقدم مرضاة غير الله تعالى على مرضاة الله .

الثالث : إخلاص القول لله تعالى فلا يقول ما لا يرضى به الله ولا يصدر عنه قول إلا فيما أذن الله فيه أن يقال وفي هذا المعنى تجيء الصراحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حسب المقدرة والعلم والتصدي للحجة لتأييد مراد الله تعالى وهي صفة امتاز بها الإسلام ويندفع بهذا المعنى النفاق والملك قال تعالى في ذكر رسوله (وما أنا من المتكلفين) .

الرابع : أن يكون ساعياً لتعرف مراد الله تعالى من الناس ليجري أعماله على وفقه وذلك بالإصغاء إلى دعوة الرسل المخبرين بأنهم مرسلون من الله وتلقيها بالتأمل في وجود صدقها والتمييز بينها وبين الدعاوى الباطلة بدون تحفز للتكذيب ولا مكابرة في تلقي الدعوة ولا إغراض عنها بداعي الهوى وهو الإفحام بحيث يكون علمه بمراد الله من الخلق هو ضالته المنشودة .

الخامس : امثال ما أمر اﷻ به واجتناب ما نهى عنه على لسان الرسل الصادقين والمحافظة على اتباع ذلك بدون تغيير ولا تحريف وأن يذود عنه من يريد تغييره .

السادس : ألا يجعل لنفسه حكما مع اﷻ فيما حكم به فلا يتصدى للتحكم في قبول بعض ما أمر اﷻ به ونبذ البعض . كما حكي اﷻ تعالى (وإذا دعوا إلى اﷻ ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين) وقد وصف اﷻ المسلمين بقوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اﷻ ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فقد أعرض الكفار عن الإيمان بالبعث ؛ لأنهم لم يشاهدوا ميتا بعث .

السابع : أن يكون متطلبا لمراد اﷻ مما أشكل عليه فيه واحتاج إلى جريه فيه على مراد اﷻ : يتطلبه من إلحاقه بنظائره التامة التنظير بما علم أنه مراد اﷻ كما قال اﷻ تعالى (ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ولهذا أدخل علماء الإسلام حكم التفقه في الدين والاجتهاد تحت التقوى المأمور بها في قوله تعالى (فاتقوا اﷻ ما استطعتم) .

الثامن : الإعراض عن الهوى المذموم في الدين وعن القول فيه بغير سلطان (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من اﷻ) .

التاسع : أن تكون معاملة أفراد الأمة بعضها بعضا وجماعاتها ومعاملتها الأمم كذلك جارية على مراد اﷻ تعالى من تلك المعاملات .

العاشر : التصديق بما غيب عنا مما أنبأنا اﷻ به : من صفاته ومن القضاء والقدر : وأن اﷻ هو المتصرف المطلق .